

اسکندر جدید

# هلح اللظھر فنی الجسر؟



هل الله ظهر في الجسد؟

بقلم اسكندر جديد

٣.....	السؤال الأول
٤.....	السؤال الثاني
٦.....	السؤال الثالث
٨.....	مسابقة كتاب: «هل الله ظهر في الجسد؟»

# هل الله ظهر في الجسد؟

السؤال الأول:

ما معنى قولكم إن يسوع هو الله ظهر في الجسد، وإن كان هذا هو اعتقادكم فما حمله على التجسد؟

ف. ك. طرابلس - لبنان

(١) إن أول شيء تعلقه لنا الحقيقة أن النفس البشرية لا تستطيع من ذاتها بلوغ الكمال الذي تنشده، لأن ناموس الخطية لها بالمرصاد. وقد كشف الرسول لنا هذه الحقيقة، إذ قال: «إِنَّ الْإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحَسَنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لِأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرُّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ، فَلَسْتُ بَعْدَ أَفْعَالِهِ أَنَا، بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. إِذَا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحَسَنَى أَنْ الشَّرُّ حَاضِرٌ عِنْدِي. فَإِنِّي أَسْرُّ بِنَامُوسِ اللَّهِ بِحَسَبِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِيئِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي» (رومية ٧: ١٨-٢٣).

(٢) فكلمة الرسول هنا تقدم لنا وصفاً للصراع، القائم في نفس الإنسان بين النعمة والفساد. بين ناموس الله الذي يسر به الإنسان ويريد أن يعمل بموجبه، وبين ناموس الخطية، التي تجذب الإنسان وتسيبه، وتحمله على صنع ما لا يريد. ولكن الرسول الكريم إذ شاء التحرر من ناموس الخطية والموت أطلق صرخته الداوية نحو السماء: «وَيُحْيِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيَّ! مَنْ يُقَدِّدُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟» (رومية ٧: ٢٤) حينئذ تراءى له المنقذ في شخص الكلمة المتجسد فهلل قائلاً: «أَشْكُرُ اللَّهَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ رَبَّنَا!» (رومية ٧: ٢٥).

وهذا السر تكشف قبلاً لرجل الله أيوب، حين عجت عليه المصائب والآلام، غمرأ ينادي غمرأ. ومن قلب حاجته إلى وسيط بينه وبين الله قال في شكواه: «لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيَّ كَيْتَنَا! لِيَرْفَعْ عَنِّي عَصَاهُ وَلَا يَعْثُرَنِي رُغْبُهُ. إِذَا أَتَكَلَّمُ وَلَا أَخَافُهُ. لِأَنِّي لَسْتُ هَكَذَا عِنْدَ نَفْسِي» (أيوب ٩: ٣٣-٣٥) فتجسد أقنوم الثاني لله، كان إذاً حاجة الإنسان الملحة، ليفتديه ويرجعه إلى إلهه ويصالحه معه.

(٣) كل إنسان يعرف من اختباره الشخصي أن الأميال الفاسدة ساكنة في جسده، وهو للأسف يطاوعها. وإنما لنذكر القول الرسولي: «الْجَمِيعُ أَخْطَاوُا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ» (رومية ٣: ٢٣)... «إِنَّ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيْنَا» (يوحنا ١: ٨) وفي الإسلام إقرار بهذه الحقيقة،

كقول القرآن: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ» (سورة النحل ١٦: ٦١) ومن هنا يتضح لنا تاريخياً، علاوة على ظهوره فكرياً أن الإنسان الطبيعي لا يمكن أن يبلغ قمة قواه الروحية، حتى يتحد ويقاد بما هو أسمر وأرقى من الإنسان.

(٤) إلى هنا كان البحث محصوراً في توضيح ضعف الإنسان، وعجزه عن السمو إلى الصورة التي كانت لأدم قبل السقوط. ولكن الوقوف عند هذا الحد معناه الخيبة. ونحن لا نستطيع أن نتصور أن خيبة مثل هذه، هي من مقاصد الله القادر على كل شيء. كلا! فالرب صالح وإلى الأبد رحمته. وهو في صلاحه لا يترك الإنسان المخلوق على صورته في حال سيئة كهذه، تؤدي به إلى الهلاك. فإذا عجز الإنسان عن إكمال مقصد الله، فالله سيقض له كائناً آخر يكمله. فمن هو؟ هو كائن من المخلوقات بالغ كمال القداسة؟ أم هو الله نفسه؟

(٥) لنحرص على التمسك بالأمور الراهنة الأكيدة، ولا نحاول التعلل بنظرياتنا، حتى ولو كانت مؤسسة على قواعد لها جذور في بعض الأديان. لأن الاستسلام لها يفضي لا محالة إلى الزيف عن محجة الصواب. ولنذكر هذه الحقيقة أنه ليس من دين ينكر أنه في الإنسان ميل، لأن يكون له اتصال مباشر بالله. فإلى الله يصلي الناس، ومنه يطلبون العون والهدى. وهو فعلاً يعين ويهدي أقدام المؤمنين في طريق السلام. والأعظم من هذا أننا ندرك جميعاً أن الغرض من الأشياء الرمزية التي يطلق عليها اسم الأمور الغامضة، إنما هو ارتباط النفس التام بالله. هكذا قال رجل الله العلامة أغسطينوس في صلاته: أيها الرب، لقد خلقتنا لنفسك. فلا تطمئن نفوسنا، إلا بالاستراحة في ظلك الإلهي.

إذن لا سبيل للظن أن بين الله والإنسان وسيطاً مخلوقاً، حتى ولو كانت طبيعته فوق الطبيعة البشرية. فالأدلة متوافرة على ما هو نقيض ذلك. إذن إن كان لا بد من بلوغ الخليفة إلى ذلك الكمال، الذي قصده الله لها، وكان لا بد من افتداء الإنسان، تحت أن يكون هذا كله بعمل الله نفسه. له الحمد والمجد إلى الأبد.

ولإتمام هذا القصد اقتضى أن يكون في اللاهوت أقانيم، ليتم التجسد في اختيار أقنوم منها دون غيره. هكذا صارت المسرة الإلهية، أن يفتدي الرب جنسنا الذي سقط في الخطية وليس له رجاء ولا معين غير الله متجسداً. لأنه وحده قادر على ما يقتضيه الخلاص. فلوازم التجسد هي باعتبار الله أن يتخذ جسداً بواسطة أقنوم من الأقانيم.

هنا لست في معرض الرد على السؤال القائل: أما كان في وسع الله أن يخلص الساقطين من غير تجسد؟ إلا أنني أؤكد بالاستناد على كلام الله أن التجسد طريق موافق ولائق، وفي غاية المناسبة، وفريد في الحكمة لأجل إتمام المقصود. وإن حدوث التجسد يرجح غاية الترجيح، إن ذلك ضروري لإتمام قصد الله بكماله في عمل الفداء. وإن حال البشر الساقطين، تطلب ذلك وتحتاج إليه.

(٦) وهناك حقيقة يجب أن أذكرها وهي أن الله له المجد إذا شاء أن يبلغ بالخليقة أوج العلى بأن يضمها إلى نفسه بواسطة ما، فإنه يعمل ذلك لا بأمر إلهي خارجي على سبيل كن فكان. بل بحلولة في أسمر درجات خليقته، أو بعبارة أخرى، بظهوره نفسه في صورة إنسان كامل.

(٧) حين نتأمل التعليم الخاص بالفداء، كما جاء في الأسفار المقدسة، نرى أن الوسيط بين الله والناس يجب أن تتوفر فيه الصفات التالية:

أ - أن يكون إنساناً، والرسول أوضح أن سبب اتخاذ الأقنوم الثاني لله، طبيعة البشر لا طبيعة الملائكة، هو أنه أتى ليفدنا، فكان ضرورياً أن يولد تحت الناموس، الذي خالفناه لكي يكمل كل بر. وأن يتألم ويموت ذبيحة، لكي يكفر عن خطايانا. وأن يشترك في حياتنا البشرية، لكي يشعر بضعفاننا (عبرانيين ٢: ١٤).

ب - أن يكون بدون خطية. فإن الذبيحة التي كانت تقدم على المذبح، كان يجب حسب الناموس أن تكون بلا عيب. بمعنى أنه من المستحيل أن يكون المخلص من الخطية خاتماً، لأنه لا يقدر أن يصل إلى الله. ولا يمكن أن يكون مصدراً للقداسة والحياة الأبدية لشعبه، إن لم يكن هو باراً قدوساً. ولذلك وجب أن يكون رئيس كهنتنا قدوساً، بلا شر ولا دنس ومنصلاً عن الخطية (عبرانيين ٧: ٢٦).

ج - أن يكون إلهاً، لأنه لا يقدر أن ينزع الخطية، إلا دم من هو أعظم من مجرد مخلوق. والمسيح في حال كونه إلهاً، بتقديم نفسه مرة واحدة ذبيحة. أكمل إلى الأبد المقدسين (عبرانيين ٧: ٢٧)، (٢٦: ٩). وكذلك لا يقدر إلا شخص إلهي أن يبني سلطان الشيطان، وينقذ الذين قد سباهم، ولا يقدر على إتمام عمل الفداء العظيم، إلا من هو قادر على إتمام عمل الفداء العظيم، إلا من هو قادر على كل شيء، وله حكمة ومعرفة غير محدودتين، ليكون رئيس كنيسته ودياناً للجميع. ولا يقدر أن يكون مصدر الحياة الروحية لجميع المفدين، إلا من حل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً.

(٨) فجميع هذه الصفات التي نص الكتاب المقدس على ضرورتها، لتأهيل الوسيط للقيام بالوساطة بين الله والناس، قد اجتمعت في المسيح، حسب مقتضى العمل الذي جاء لإتمامه.

ونتح من ثبوت تلك الصفات للمسيح، أن وساطته التي تشمل كل ما فعل وكل ما زال يفعل لخلاص البشر، هي عمل شخص إلهي. فجميع أعمال المسيح وآلامه في إجراء وساطته، كانت أعمال وآلام شخص إلهي. فالذي صلب هو رب المجد، والذي سكب نفسه للموت هو الأقوم الثاني لله.

### البيئة التاريخية

(٩) إذا التفتنا إلى التاريخ، علمنا منه أنه عاش على هذه الأرض إنسان، كانت حياته مظهراً جلياً تاماً للعصرين، اللذين يتألف منهما صلاح البشر الكامل. وهما الارتباط الدائم بالله والمحبة المنقطعة النظير لبني جنسه. لقد جال يعظ ويشتر، ويصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس. وأطلع الناس على رأي جديد في الله، قائلاً إنه عز وجل يهتم بكل إنسان على حدة، كما يهتم الأب بأولاده، وأن الله يستقبل كل خاطئ تائب، مرحباً به كما يرحب الأب بابن تائه ضال عائد إلى أحضانه.

(١٠) و(١١) وعلاوة على ما أبداه من تعاليم المحبة وأعمال الرحمة، دعا إليه جماعة من التلاميذ ليقوموا معه ويتعلموا كلمات فمه وقوة مثاله. فكانوا يوماً بعد يوم، يزدادون نمواً في معرفتهم له وتعمقاً في الوقوف على كنه أفكاره، وتضلعاً من فهم معنى أمثاله الخفية. فارتشفوا من زلال روحه، وتعلموا ثقته وشاركوه في اتصاله بالله. ولكن العالم الشرير اضطرب خوفاً منه. وأولئك الذين أغمضوا عيونهم عن الحق، واتكلوا على برهم الذاتي. ثاروا عليه وساقوه إلى المحاكمة، واتهموه بالتجديف وكسر الناموس، وتمكنوا من إصدار الحكم عليه بالموت. فماذا فعل؟ أبنى الدفاع عن نفسه، على شدة ثقته بأنه لم يكن عليه سوى إصدار أمره، فيأتي اثنا عشر جيشاً من الملائكة لإبادة أعدائه. ولكنه لم يشأ أن يستعمل شيئاً مما كان لديه من وسائل النجاة. ولكي يعلن جلياً معنى المحبة - محبة الله - أسلم نفسه إلى النهاية. ولكي يرسخ في عقول الناس شدة هول الخطية وفرط فظاعتها في عيني الله، أذن لها في تعذيب إنسانه الكامل، زهرة الإنسانية نفسها، المنزهة عن كل عيب. ولكي يغلب الشر، تحمل كل غاراته وغزواته حتى الموت، لكي يشارك الإنسان في جميع منازعاته ويمهد له سبيل الغلبة والظفر. وهكذا انتصر.

(١٢) ففي اليوم الثالث قام. وكان قد قال «لأنني أضع نفسي لأخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني،

بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ دَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيضاً» (يوحنا ١٠: ١٧ و ١٨) وهكذا فعل. فكمال العمل وتم الإعلان الإلهي، إذ بذلت المحبة إلى أقصى درجة منها، وقوة الشر على أشدها كوفحت وغلبت. وتمت نصره الخير على الشر.

(١٣) وماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة في تلاميذه، الذين عرفوه حق المعرفة، اقتناعاً تأصل ونما في أثناء معاشرتهم له. لكنه أزهز عندما ظهر لهم بعد قيامته، أنه لم يكن إنساناً ولا كائناً أرقى درجة من الإنسان فقط، بل رأوا فيه صفة الله نفسه. وأنه ادعى أموراً من التجديف أن يدعيها أحد غير الله. وقد ثبت كل ما ادعاه ثبوتاً حقيقياً. وأنه مستحق سجودهم له، وأنه بالحقيقة كان الله عائشاً عيشة إنسان، وفي الوقت نفسه يسود الكون من على عرشه في السماء.

(١٤) وهذا الاختبار لم ينحصر في تلاميذ الرب يسوع، الذين اتصلوا به مباشرة، بل شاع وانتشر على قدم السرعة بين كثيرين غيرهم. لأن التلاميذ بشروا به، مؤيدين بقوة روحه، الذي أرسله ليقوم مقامه.

ثم إن الاقتناع بأن يسوع الناصري، كان إلهاً وإنساناً معاً، لم ينته بموت الذين عرفوه في الجسد، ولماذا؟ لأنه لم يبن على بدعة دينية، ولا على كرازة أو تعليم، بل على اختبار شخصي شعر به المسيحيون في كل العصور، وعلى اقتناع تام بأن يسوع لا يزال حياً، ولا ينفك يرتبط ارتباطاً شخصياً بجميع الذين يطلبونه. وهذا الارتباط لا يقف حاجزاً بينهم وبين الله، بل هو بالحقيقة ارتباط بالله نفسه.

(١٥) وهذا الأقوم، يسوع المسيح ليس كائناً جامداً غير كامل. بل هو اليوم مالى العالم كله - هنا وهناك وهناك، في كل مكان وجهة، يضع يده على الإنسان. ويقول له: «اتبعني» فيخاف الإنسان ويحبه: إن خدمتك يا سيدي صعبة المراس، وثقيلة الحمل، فلا أستطيعها. لا أقدر أن أقتفي خطواتك، دعني وشأني يا سيد، لأنني إنسان خاطئ. فقول الرب يسوع: استودعني حياتك اجعلها في حفظي. اتكل عليّ وآمن بي. «تكفيك نعمتي» فيلبي الإنسان دعوته، ويصير من أتباعه. واليوم ما زال يسوع في الطريق وينادي: تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم... التفتوا إليّ واحصلوا يا جميع أقاصي الأرض... ويسمع النداء كثيرون ويقبلون إليه منجدين بنعمة شخصيته الإلهية. واليوم هو معروف في إفريقيا السوداء. حيث ينضم الناس أفواجا إلى جماعته، ويجدون النجاة من سلطة الأرواح الشريرة وسطوة السحرة والعرافين. وفي كل أمة وشعب وطبقة أناس غيرهم يسوع.

وهم يحيون حياة تختلف عما كانت عليه قبلاً، حياة بدأت بالإثم وشهوة الجسد وتعظم المعيشة. والآن يعيشون كما يحق لإنجيله، في البر وقداسة الحق. وإذا سألتهم عن منشأ هذا التغيير العظيم فيهم، أجابوك: هذا كله حصل بفضل معرفة يسوع المسيح ربنا.

إذن في استطاعتنا القول بملء الثقة إن حياة يسوع الناصري، توّجت عمل الله في الخليقة وبلغت به أوج السمو والكمال. وفيه وصل هذا العمل إلى درجة الإتيان التام. وبه بلغت الحياة والروح قصد الله، وبه أيضاً تأصل كل الذين قبلوه في المحبة، وامتألوا إلى كل ملء الله. وبتعبير آخر أن النفس البشرية المؤمنة به صارت إلى غاية وجودها العظمى، التي هي الاتحاد بالله نفسه ورفع الخليقة إلى الله خالقها.

(١٦) هذا هو حكم التاريخ وقراره. ولكن من حيث يسوع المسيح، لا يراد بالإنسان الكامل مجرد خلاصة الكون، ومرآة الجوهر الإلهي، والصلة بين الله وخليقته فقط. بل إنما هو الإنسان الكامل، لأنه في الوقت نفسه الإله الكامل، لأنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً (كولوسي ٢: ٩). ولأنه ليس حلقة الاتصال، بل هو اتحاد حقيقي. وليس مرآة الجوهر الإلهي، يتألق ساطعاً بواسطة حياة إنسانية. بل «هُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَشْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (عبرانيين ١: ٣) هو «الْكَلِمَةُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ... كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِعَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يوحنا ١: ١-٣). فهو والحالة هذه مستحق أن يأخذ القوة والغنى والحكمة والقدرة والكرامة والمجد والبركة، آمين.

### سؤال الثاني:

ن المعلوم أن الله في غنى عن العالم والساكين فيه. إن كل صلة له مع المخلوق تجعله تعالى في حيز زمان والمكان، وبالتالي تنسب إليه المفعولية وهذا نقر. ثم هذا التجسد الذي تعتقد به المسيحية، ألا ينبغي انتقال جزء من الله إلى جسد المسيح؟

ع. ش. بيروت، لبنان

(١٧) رويدك أيها الصديق الكريم، فالإسلام الذي تدين به يجعل الله في حيز الاتصال مع مخلوقاته وضمن الزمان والمكان. فأنت تؤمن بأن الله بعث برسول إلى الناس. وهذا معناه إقامة صلة مع مخلوقاته، فقد جاء في القرآن: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَأَخَذْنَاهُ أُخْذًا رِيبًا» (سورة الزمزل ٧٣: ١٥ و ١٦). والأكثر من هذا أن القرآن يحرض الإنسان على إقامة صلة مع الله خالقه، وأن

الله يحب ذلك بدليل قوله: «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (سورة آل عمران ١٥٩:٣).

قد تقول إن هذه التعبيرات الكلامية هي من قبيل الجاز. ولكن هذا اجتهاد على النص، ولا يمكنه أن يثبت أمام الحقيقة. لأن حوادث كثيرة من هذا النوع، ذكرت فيها أسماء أشخاص قاموا بأعمال بناء على أمر الله كما في قول القرآن: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنِّي لَأَنْزَلَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبْلُغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (سورة الأعراف ٥٩:٧-٦٢). فهذه الآيات لا يمكن أخذها مأخذ الجاز. لأن فيها إشارة إلى حوادث معينة.

(١٨) وماذا تقول عن الحديث النبوي الخاص بالصلوات التي فرضت على المسلمين. فقد حدث ابن اسحاق عن ابن مسعود عن رسول الله أنه قال في قصته عن ليلة المعراج: إن جبريل انتهى بي إلى ربي، ففرض عليّ خمسين صلاة كل يوم. فأقبلت راجعاً فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصحاب كان لكم، سألتني كم فرض عليك من الصلاة، فقلت: خمسين صلاة كل يوم. فقال: إن الصلاة ثقيلة، وأن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك. فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألت ربي، فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألته فوضع عني عشراً. ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه قائلاً، ارجع فاسأل ربك، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة. ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد رجعت ربي وسألته حتى استحييت منه، فما أنا بفاعل. فمن أدهن منكم إيماناً بهن واحتساباً لهن كان له أجر خمسين صلاة (سيرة النبي لابن هشام ٣:٢٧٦).

(١٩) فهذا الحديث أضعه أمامك لتقرر على ضوئه إن كان لله صلوات مع مخلوقاته وأن لهذه المخلوقات علاقة بالله. واستطرداً أقول لك بمحبة: إن كنت تتمسك بعقيدة التنزيه المطلق، تكون قد آمنت بالله لا تعرف عنه شيئاً، وبالتالي أنت منفصل عنه كل الانفصال. وفي هذه الحالة تكون ضمناً قد أنكرت النبوة والقرآن. لأن النبي لا يصح أن يسمى نبياً إن لم يوح إليه ويرسل، وبذلك يقيم صلة بين الله والمخلوق. (٢٠) وجاء في الحديث أن ربنا تبارك وتعالى

ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الأخير يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له (صحيح البخاري ٦٨:٤) فما هذا النزول كل ليلة إلى السماء الدنيا عند ثلث الليل الأخير، فهل يتحدد بالنزول في زمان ومكان؟ وهل يفرق هذا عن نزوله من سماء المجد إلى بيت لحم متجسداً في زمان ومكان؟

في اعتقادي أن التنزيه المطلق، الذي يقول بانفصال الله عن الكائنات، يجعله تعالى إلهياً منعزلاً، وبالتالي يفضي إلى التعطيل في الأمور الروحية. لأن الإنسان لا يمكن توبته وتجديده في معزل عن الله. وقد عرف بالاختبار أن كل مجهودات الإنسان الذاتية لرفع نفسه من حال الخطية إلى حال القبر، لا تجديه شيئاً إن لم تكن له صلة بالله. قال المسيح في عظته على الجبل: «وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا أَهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيَّ قَامَتِيه ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟» (متى ٦:٢٧) وبالنتيجة، نرى أن التنزيه المطلق هو الذي أعاق الكثيرين عن قبول فكر التجسد، وبذلك حرّموا أنفسهم من فوائد الفداء. إلا أن هؤلاء في رفضهم تعليم التجسد يقدمون عدة اعتراضات منها:

(٢١) يقولون إن تجسد الله يحتم عليه تغييراً في جوهره الإلهي في زمان ومكان معين، لكنهم يقيسون الله بمقاييس العقول القاصرة، وبالتالي ينسبون وبطريق غير مباشر العجز لله، وعدم قدرته على التجسد والظهور دون حدوث تغيير في جوهره. والحق أن التجسد لا يحتم حدوث تغيير في الطبيعة الإلهية. ودليلنا على ذلك أن الأقنوم الثاني لله، لما اتحد بالطبيعة البشرية لم يفقد ألوهيته. بل بقي ذلك الرب القدير، الذي يقيم الأموات ويشفي الأكمه والأبرص، ويغفر الخطايا، وينتهر العواصف والأمواج فتهدأ. وقد أخبرنا الإنجيل أنه ظهر في الجسد بطريقة غير اعتيادية. لأنه هو خالق الأجساد والطباع، ولا يصعب عليه الاتحاد بها. وكل اعتقاد يخالف هذه الحقيقة، هو بمثابة إقرار بأن خالق الأجساد والطباع ليس هو الله بل أحد غيره.

(٢٢) من المعروف بالاختبار أن الإنسان الحكيم العاقل يقدر أن يوفق نفسه مع البيئة والظروف التي يعيش فيها، فكم بالحري الله الحكيم جداً والقادر على كل شيء، يقدر أن يتجسد دون أن يعتره تغيير أو تبديل في جوهره؟

لاحظ أن الشمس ترسل أشعتها ودفعتها إلى الأرض وتتحد بالكائنات وتكسبها حياة وتنميتها، دون أن يعترى الشمس أي تغيير في تركيبها. فهل يعقل أن يكون للشمس قوة الاتحاد مع العناصر الأخرى وأن تفعل فيها، دون أن يطرأ عليها تغيير،

ولا تكون هذه القوة لله خالق الشمس وخالق العناصر؟

أنت تعتقد بأن الله خلق الإنسان الأول من صلصال كالفخار (سورة الرحمن ٥٥:١٤) وهذا يعني أن الله قد وقف عند حد الزمان والمكان، لأنه أمسك بيده طيناً من بقعة محدودة وكون الإنسان منه في زمان محدود. فإن قلت أن وقوفه عند مكان وزمان محدودين، لا يجعله محدوداً لأنه قادر على كل شيء، قلت لك: وكذلك تجسده في زمان معين وحيز معين لا يجعله محدوداً، لأنه قادر على كل شيء. هكذا قال المسيح: «غَيْرِ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللَّهِ» (لوقا ١٨:٢٧).

(٢٣) جاء في الحديث عن محمد أنه قال: إن المؤمنين حين يتشفعون ربهم يوم القيامة. يأتون إليّ. فأطلق فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي. فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً (صحيح البخاري ١٨:٤).

من هنا ينطلق سؤال: كيف يتهم المسيحي بالكفر عندما يقول إن الله ظهر في الجسد، ولا يتهم الذي يقول إن الله تحويه دار؟

(٢٤) جاء في سورة البقرة ١١٥:٢: «فَأَتَيْنَا تُولُوعًا فَتَنَّمْ وَجْهَهُ لِلَّهِ» وجاء في سورة الرحمن ٥٥:٢٦ و٢٧: «كُلُّ مَنْ عَلَيْنَا فَإِنِ يَتَنَبَّأْ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» وجاء في سورة الدهر (الإنسان) ٩:٧٦: «إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكُفِّرُكُمْ».

وجاء في سورة الحديد ٥٧:٢٩: «أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» وجاء في سورة الفتح ٤٨:١٠: «إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ». وجاء في سورة الملك ٦٧:١: «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وجاء في سورة هود ١١:٣٧ قوله لنوح: «وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا» وجاء في سورة الطور ٥٢:٤٨ قوله لحمد: «وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا». وجاء في سورة طه ٢٠:٣٨ و٣٩ قوله لموسى: «إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنْ أَقْبِضِي فِي الثَّابُوتِ... يَاخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهْ وَالْقَئِثُ عَلَيْنِكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي».

وجاء في الحديث عن أبي هريرة، عن محمد أنه قال: خلق الله الخلق، فلما قامت الرحم فأخذت في حقو الرحمن (صحيح البخاري ٣:١١٤).

فهذه النصوص تقول إن لله وجهاً ويداً وعيناً وحقواً وهي من أعضاء جسد الإنسان. فإن كان تجسد الله يحسب ككراً فكيف نفسر هذه الآيات؟ (٢٥) كيف يحل الله القدوس في بطن امرأة. وسط الدم ونجاسة الحبل والولادة؟ وكيف يحل في

جسد بشري ويأكل ويجوع، ويشرب ويعطش ويبول ويتغوط؟

لعل القائلين بهذا لم يفهموا قول ملاك الله: إن الذي حبل به في مريم هو من الروح القدس. فإن كان الله أقدس من أن يلمس دم امرأة، فكيف يؤمنون بأن الله أخذ ضلعاً من آدم وصنع منها امرأة؟ وما قولهم في الحديث عن عائشة أنها قالت: كان النبي يتكئ في حضني وأنا حائض، ثم يقرأ القرآن؟ (صحيح البخاري ٤: ٤٤١).

فإن كان الدم نجساً، وإن كان القرآن هو كلمة الله الأزلية القائم بذات جوهر الله، ولا يقبل الانفكاك والانفصال عن الله، فكيف يجيز إذاً محمد لنفسه، أن يتلوه وهو مضطجع في حجر عائشة الحائض. ولا يجوز أن يحل ويتجسد في أحشاء القديسة مريم؟ جاء في سورة الحجر ١٥: ٢٨: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ». وقد فسر الجلالان الحما المسنون بالطين الأسود. فإن كان الطين الأسود لم يحط لمسه من قدر الله ولم يدنسه، فكم بالحري بعد أن سوى منه الإنسان وجعله تاجاً مخلوقاته، لا يأنف أن يحل فيه؟ شكر الله لأجل كلمته في بولس: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ، وَرُوحُ اللَّهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (١ كورنثوس ٣: ١٦). وإن كان الله القدوس لا يرى ضيراً أن يسكن بروحه في المؤمن، فكم بالحري يسكن في جسد يسوع الذي لم يعرف خطية، ولم يولد من زرع بشري؟

(٢٦) جاء في سورة القصص ٢٨: ٢٩-٣٠: «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جُدُودٍ أَوْ جَدُودٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

ووردت القصة عينها في سورة طه ٢٠: ٩-١٣ هكذا: «وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى وَأَنَا آخِزَتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى».

وقد فسر الإمام فخر الدين الرازي القصة هكذا: استأذن موسى عليه السلام شعبياً في الرجوع إلى والدته فأذن له. فخرج فولد له ابن في الطريق في ليلة شاتية، وكانت ليلة الجمعة، وقد حاد عن الطريق. ففقد موسى عليه السلام النار، فلم تور المقدحة شيئاً. فبينما هو في مزاوله ذلك، إذ نظر ناراً من بعيد عن يسار الطريق. قال السدي: ظن أنها نار من نيران الرعاة. وقال محدثون آخرون أنه عليه السلام رآها

في شجرة... فلما أبصر توجه نحوها، فقال لأهله امكثوا إني أبصرت ناراً، لعلني آتيتكم منها برأس عود أو فتيلة. فلما أتاهما قال ابن عباس: رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها. كأنها نار بيضاء. فتوقف متعجباً من شدة ضوء تلك النار وشدّة خضرة تلك الشجرة. فلا النار تغير خضرتها، ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار. فسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً... فلما رأى موسى ذلك، وضع يده على عينيه فنودي: يا موسى إني أنا ربك، فقال لبيك، إني أسمع صوتك ولا أراك، فأين أنت؟ فقال أنا معك وأمامك وخلفك ومحيط بك وأقرب إليك... فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس (التفسير الكبير جزء ٢٢ صفحة ١٤-١٥).

أما في الكتاب المقدس فقد وردت القصة هكذا: «وَوَظَّهَرُ لَهُ (أَي لِمُوسَى) مَلَاكُ الرَّبِّ بِأَهْبِيبِ نَارٍ مِنْ وَسْطِ غَيْبِقَةٍ، فَتَنَظَرُ وَإِذَا الْعَلِيقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعَلِيقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ!... فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّ مَالَ لِيُنْظَرُ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعَلِيقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى مُوسَى». فَقَالَ: «هَتْنَدًا». فَقَالَ: «لَا تَقْرَبْ إِلَيَّ هَهُنَا. أَخْلَعْ حِذَاكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ» (خروج ٣: ٢-٥).

فيا صديقي الكريم، إن كان الله لكي يكلم موسى ويحمله رسالة إلى البشر، استحسن أن يحل في شجرة ويظهر في هيئة نار، أفلا يكون من التجني أن ينعت المسيحيون بالكفر، لأنهم يؤمنون بأن الله لكي يعلن ذاته في المحبة، ظهر في يسوع المسيح؟ وهل الشجرة التي بدا الله فيها، أعظم شأنًا من المسيح؟ (٢٧) والآن أعود لأقول لك إن كان يسوع وهو في الجسد قد أكل وشرب وتغوط، فإن هذا لا يضير ملء اللاهوت، الذي حل فيه جسدياً. بدليل قول الكتاب المقدس: «إِنِّي عَالِمٌ وَمُتَيَقِّنٌ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ نَجِسًا بِذَاتِهِ، إِلَّا مَنْ يَحْسِبُ شَيْئًا نَجِسًا، فَلَهُ هُوَ نَجِسٌ» (رومية ١٤: ١٤) وشكراً للمسيح لأنه لم يحسب شيئاً نجساً.

(٢٨) يا صديقي، إن المتأمل بعمق في الكتابات المقدسة، لا بد أن يلاحظ أن الطريقة التي اعتمدها الله لإعلان ذاته، وتبليغ مقاصده هي نوع من الظهور والتجسد. لا فرق في أن يكون هذا الظهور والتجسد في السحاب، أو في النار، أو في جسد ملاك العهد، أو في جسد المسيح، الذي ظهر فيه مملوءاً نعمة وحقاً.

نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين ١: ١ و٢ هذه العبارات التي تعتبر المفتاح في الكلام عن اتصالات الله بالبشر: «اللَّهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُورٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ - الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا

عَمِلَ الْعَالَمِينَ». وهاك أنواع الظهورات والطرق التي كلم الله بها البشر، كما وردت في الكتاب المقدس:

تكوين ٣: ٨ و٩ قوله: «وَسَمِعَا (آدَمَ وَحَوَاءَ) صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِهُمَا مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاحْتَبَأَ آدَمُ وَأَمْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ إِلَهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنادَى الرَّبُّ إِلَهِهُ آدَمَ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لِأَنِّي عُزْبَانٌ فَاحْتَبَأْتُ». فهنا نرى ظهور الله وهو يمشي ويسمع ويتكلم، ويختبئ آدم وامرأته من وجهه.

تكوين ٨: ٢١ قوله عن ذبيحة نوح: «فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: لَا أَعُودُ أَلْعَنُ الْأَرْضَ...» وهنا يظهر الله وله حاسة الشم يتنسم بها رائحة الذبيحة، وله قلب يفكر فيه، لإعادة النظر في موقفه من الأرض.

تكوين ١٨: ١-٥ قوله: «وَوَظَّهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْحَيْمَةِ وَقَدْ حَرَّ النَّهَارِ، فَفَرَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لِاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْحَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلَا تَنْجَاوِرْ عِنْدَكَ. لِيُؤَخَذَ قَلِيلٌ مَاءٍ وَأَغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَأَتَكِفُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَأَخَذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتَشْنِدُونُ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجَاوِرُونَ، لِأَنَّكُمْ قَدْ مَرَزْتُمْ عَلَيَّ عَبْدِي كَمْ». فقالوا: «هكذا تفعل» فهنا ظهر لإبراهيم في صورة إنسان، وقد جلس وأكل وشرب.

تكوين ٢٢: ٣٢-٣٠ قوله: إنه ظهر ليعقوب في صورة إنسان وصارعه حتى الفجر: ولما سأله ان يطلقه قال له لا أطلقك إن لم تباركني فباركه قائلاً له: «لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» فدعا يعقوب اسم المكان «بَيْتِئِيلَ» قائلاً: «لأنني نظرتُ الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي».

خروج ٢٤: ٢٤ قوله: ثم صعد موسى وهرون وأبيهون وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق... ولكنه لم يمد يده إلى أشرف بني إسرائيل. هنا كان ظهور الله بصورة إنسان له يدان ورجلان، ولكنه لم يمد يده إلى أشرف الشعب لأنهم كانوا أئمة وفي حاجة إلى مصالح له طبيعة الله وطبيعة الإنسان.

سؤال الثالث:

لا يستطيع الرحمن خلاص الناس إلا بإرسال ابنه - على فرض أن الله أبنا كما تزعمون - ليتخذ جسداً يتجرب بتجارنا، ثم يقتل بأيدي الأشرار؟

ص. ا. دمشق سوريا

(٢٩) يعلم الكتاب المقدس أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه (تكوين ١: ٢٦) وقصد له المجد أن يبقى الإنسان في عدم فساد. ولكن الإنسان انجذب بكبريائه إلى كسر الوصية الإلهية. فعصى ربه وغوى. وتبعاً لذلك صار خاطئاً، وواقعاً تحت حكم الله القائل: «التُّفْسُ الَّذِي تُحْطِي هِيَ تَمُوتُ» (حزقيال ١٨: ٢٠). وقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة بقوله: «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَارَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ» (رومية ٥: ١٢).

وتفيدنا كلمة الله أن البشر إذ رفضوا إبقاء الله في معرفتهم. وقعوا في العصيان كأبويهم الأولين، فاستحقوا حكم الموت، الذي سبق للإنذار به. ومن ذلك الحين فقدوا الصورة. التي خلقهم الله عليها في البر وقداسة الحق. وفسدوا حسبما أرادوا لأنفسهم. أو كما قال سليمان الحكيم: «أَنَّ اللَّهَ صَنَعَ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِيمًا، أَمَّا هُمْ فَطَلَبُوا اخْتِرَاعَاتٍ كَثِيرَةً» (جامعة ٧: ٢٩) أو كما قال الرسول بولس: «لَمَّا عَرَفُوا اللَّهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَالَّذِي، بَلَّ حَقُّهُ فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قُلُوبُهُمُ الْعَرِيِّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلَاءَ» (رومية ١: ٢١ و ٢٢).

لقد كان ممكناً للإنسان المخلوق على صورة الله أن يتجنب الفساد. ويحيا في طهارة لو أنه أبقى الله في معرفته. لأن الله لم يكتف بأن يخلقنا من العدم ويعطينا نسمة الحياة، لكنه أيضاً وهبنا إمكانية الحياة في شركة معه. بيد أن الناس إذ تحولوا عن حياة الله، وقبلوا غواية الشيطان، صاروا سبباً لفساد أنفسهم.

(٣٠) ولكن هل يليق بالله، أن يصير الإنسان الذي خلقه على صورته كشبهه إلى الهلاك الأبدي؟ وماذا يصنع الخالق. الذي وصف بأنه صالح وإلى الأبد رحمته؟ أنتحمل محبته الغنية باللفظ، أن يرى الفساد بلاشي صورته عن البشر؟ وهل تسر عزته الإلهية بهلاك المجموعة البشرية التي كونها على أحسن تقويم؟ وإن هو تركهم لهذا المصير الشقي، ألا يعد ذلك إهمالاً؟ وهل الإهمال يليق بجلال الله القدوس؟! كلا، كلا! حاشا لله! ليس هو القائل: «حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لَا أَسْرُبُ مَمُوتِ الشَّرِيرِ، بَلْ بَأَن يَرْجِعَ الشَّرِيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا» (حزقيال ٣٣: ١١).

(٣١) أجل إن الله من أجل محبته الكثيرة، شاء أن يخلص الإنسان. ولكن كيف؟ أبالنوبة؟ ولكن النوبة، لا تستطيع كسر الحكم وبالتالي رفع القصاص، لأنها لا تستطيع أن توفي مطالب عدل الله. صحيح أن التوبة الصادقة، تقف حائلاً بين التائب وارتكاب خطايا جديدة. ولكنها لا تستطيع إزالة أثر الخطايا السالفة وحكم الله عليها. أمام هذا الإشكال أتساءل مرة أخرى: ماذا كان ممكناً أن

يفعل الله، «الَّذِي يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُوا وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ». وفي كلمة أخرى أنه يريد أن يبرر الإنسان، لكي يأتي بهذا الكائن الفاسد إلى عدم فساد، وفي ذات الوقت يوفي مطالب العدل الإلهي. وهذا يتفق مع المشورة الإلهية بالفداء. فالكلمة التي كان في البدء عند الله، وكان الكلمة الله كان هو وحده يليق بطبيعته أن يجدد خلقه كل شيء، في أن يأخذ الجسد ويتحمل قصاص الدينونة عن الإنسان. لأجل ذلك نزل إلى عالمنا «وصار جسداً وحلَّ بِنِسْنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِيُوحِيدِ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنا ١: ١٤).

(٣٢) وبقينا أن الكلمة منذ البدء كان يعد نفسه للتجسد، ومن هنا انطلق قول رجل الله ترتليانوس: أن المسيح كان يعد نفسه للتجسد مدى الأجيال، التي سبقت ظهوره. والواقع أن كل من تأمل في الكتاب المقدس، يتأكد أن الفادي الرب، كان كلمة سر همس بها الوحي في أذان أنبياء الله في العهد القديم. ولم تلبث النبوة أن أعلنته بضم إشعيا النبي: «وَلَكِنْ يُعْطِيكُمْ السَّيِّدُ نَفْسَهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّا نُوِيل»... (الَّذِي تَمْسِيهِ: اللَّهُ مَعَنَا)» (إشعيا ٧: ١٤ حتى ١: ٢٣).

وتخبرنا الكلمة الموحى بها أنه لما جاء ملء الزمان، أتى مولوداً من عذراء طاهرة بلا لوم، لم تعرف رجلاً، «مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيُفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيُنَالِ النَّبِيَّ» (غلاطية ٤: ٤ و ٥).

هكذا يخبرنا إنجيل الفداء، أنه إذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، وأن ناموس هذا الفساد لا يمكن إبطاله إلا بموت بار لم يعرف خطية، تطوع الكلمة وأخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت. ليطم فيه حكم الموت نيابة عن الكل، ليزيل حكم الدينونة عن كل من يؤمن. هذا السر كشفه لنا الرسول بولس بقوله: «إِذَا لَا شَيْءَ مِنَ الدُّنْيَا أَلَانَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. لِأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ اعْتَقَنِي مِنَ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ. لِأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، قَالَهُ إِذْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيئَةِ، وَلِأَجْلِ الْخَطِيئَةِ، دَانَ الْخَطِيئَةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَسَمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ» (رومية ٨: ١-٤) بمعنى أن الفادي الرب، إذ قدم للموت ذلك الجسد الذي أخذه لنفسه كمحرقة وذبيحة خالية من كل عيب، رفع حكم الموت عن جميع الذين ناب عنهم. وهكذا لأنه متعال فوق الكل وبدون خطية، استطاع أن يوفي مطالب العدل الإلهي.

(٣٣) لعلك ستواجه صعوبة في فهم سر الفداء، ولكن حين تتأمل في تعليم الإنجيل عن محبة الله

الغنية بالرحمة، تجد أن هذا العمل متفق مع ما اتصف من أسفار العهد الجديد التي كتبت بالوحي لأجل تعليمنا، والتي بمطالعتها ستري إلى أي مدى ذهبت محبة الله لأجل خلاصنا.

«فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْوَلَادَةَ فِي اللَّحْمِ وَالْدَمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَلِكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (عبرانيين ٢: ١٤ و ١٥).

«مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدِمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِهْمَالِ اللَّهِ» (رومية ٣: ٢٤ و ٢٥).

«لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (يوحنا ٣: ١٦).

«وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدَ خُطَاةٍ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. فَبِالْوَلَدَةِ كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْعُصْبِ» (رومية ٥: ٨ و ٩).

«الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى آيَتِهِ، بَلْ تَذَلَّهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهَيِّبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ؟» (رومية ٨: ٣٢).

#### (٣٤) الأدلة النبوية على تجسد الرب

«أَصْعَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا. وَجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي. قُلْتُ: «هَتَذًا هَتَذًا» لِأُمَّةٍ لَمْ تُسَمَّ بِأَسْمِي. ٢ بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقِ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ» (إشعيا ٦٥: ١ و ٢).

فهذه الآية تشير إلى تجسد يسوع، بدليل استشهاد بولس بها حين تكلم عن هذا الموضوع، إذ قال: «وَجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي، وَصَرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي». أمّا من جهة إسرائيل فيقول: «طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمَقَاوِمٍ» (رومية ١٠: ٢٠ و ٢١) فيسوع هو الذي بسط يديه على الصليب فعلاً.

«هُمْ يَزُونَ مَجْدَ الرَّبِّ، بَهَاءَ إِلَهِنَا. شَدَّدُوا الْأَيْدِيَ الْمُسْتَرْحِيَّةِ، وَالرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ تَشْبُوهَا. قُولُوا لِخَائِفِي الْقُلُوبِ: «تَشَدَّدُوا لَا تَخَافُوا. هُوَذَا إِلَهُكُمْ. الْإِنْتِقَامُ يَأْتِي. جِزَاءُ اللَّهِ. هُوَ يَأْتِي وَيُخَلِّصُكُمْ». حِينَئِذٍ تَنْفَتِّحُ عُيُونُ الْعَمِيِّ، وَأَذَانُ الصَّمِّ تَنْفَتِّحُ. حِينَئِذٍ يَقْفُزُ الْأَعْرَجُ كَالْإِيْلِ وَيَتَرْتَمُ لِسَانُ الْأَخْرَسِ» (إشعيا ٣٥: ٢-٦).

فالنبوة هنا لا توضح فقط أن الله يحل هنا، بل أيضاً تعلن علامات مجيئه، وتصف أعماله، كما ذكرت في الإنجيل تماماً. لأنه حين أرسل يوحنا المعمدان اثنين من تلاميذه يسأل يسوع: «أَنْتَ هُوَ



الآتي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ الرَّجُلَانِ قَالَا: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَائِلًا: أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ سَمِعَ كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَدْوَاءٍ وَأَزْوَاجٍ شَرِيرَةٍ، وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِلْعُمَيَانِ كَثِيرِينَ. فَاجْتَابَ يَسُوعُ: «أَذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا: إِنَّ الْعُمَيِّ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصَّمَمُ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يُقَامُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ!» (لوقا ٧: ١٩-٢٣).

«فِي آيَاتِيَا تَصَرُّعَاتِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ، وَأَنَا جِئْتُ لِأَخْبِرِكَ لِأَنَّكَ أَنْتَ مَحْبُوبٌ. فَتَأَمَّلْ الْكَلَامَ وَأَفْهَمْ الرُّؤْيَا. سَمِعُونَ أُسْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمُعْصِيَةِ وَتَثْمِيمِ الْخَطَايَا، وَلِكُفَارَةِ الْإِثْمِ، وَلِيُؤْتَى بِالرَّابِّ الْأَبَدِيِّ، وَلِيَحْتَمَّ الرُّؤْيَا وَالنَّبِيَّةُ، وَلِيَسْبَحَ قُدُّوسُ الْقُدُّوسِينَ. فَاعْلَمْ وَأَفْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أورشليمَ وَبَنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّبِّ سَبْعَةَ أَسَابِيحٍ وَأَثْنَانِ وَسِتُونَ أُسْبُوعًا» (دانيال ٩: ٢٤ و ٢٥).

ففي هذه النبوة لا نجد إشارة إلى المسيح فحسب، ولكنها تعلن صراحة أن الذي سيمسح ليس هو مجرد إنسان، بل قدوس القدوسين. والحق أنه لما جاء كانت الرؤيا والنبوة قد توفقت في أمة اليهود، وتلاشت الملكية فيها. لأن الملوك كان يجب أن يمسحوا بينهم إلى أن يمسح قدوس القدوسين. وقد تنبأ يعقوب بأن ملوك اليهود يقولون إلى مجيء المسيا، إذ قال: «لَا يَزُولُ قُضِيَتْ مِنْ يَهُودًا وَمُشْتَرَحٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ» (تكوين ٤٩: ١٠).

«بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِيمَةٍ لَمْ تَسْرُ. أَذْنِي فَتَحَتْ. مُخْرَقَةٌ وَذَبِيحَةٌ خَطِيئَةٍ لَمْ تَطْلُبْ. حِينَئِذٍ قُلْتُ: «هَتَّنَدَا جِئْتُ. يَدْرُجُ الْكِتَابُ مَكْتُوبٌ عَنِّي أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلَهِي سُرْتُ» (مزمو ٤٠: ٦-٨).

(٣٥) حين نقابل هذه الآيات بما جاء في الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ٦-١٠ نرى تطبيقاً كاملاً لهذا المزمور المجيد على شخص يسوع. فربنا المبارك استعرض جميع ذبائح وقرابين العهد القديم، كذبائح السلامة، وذبائح الإثم والحرق، وذبائح الخطية. وبعد استعراضها نطق بحكمة، قائلاً: بأنها لم تكن مطلب القدير.

وتخبرنا الكتب المقدسة، أنه كان في مشورة الله الأزلية إعداد ذبيحة أفضل. وإذ ننحنى سجداً يقودنا الروح القدس إلى ذاك الماضي الأزلي، الذي إن كنا لا نستطيع إدراكه بحكم قصورنا البشري، إلا أننا نفهم من إعلانات الله في كتابه الكريم أن أقانيم اللاهوت، وهم يتطلعون إلى جنسنا البشري، المزمع

أن يأتي إلى الوجود، وإلى الخطية التي ستدخل إلى العالم ومعها الموت، أصدرنا المشورة بالفداء. وبتصور أن الله الابن تطوع لعمل الفداء قائلاً: ها أنذا أذهب وأصنع الكفارة لذلك العالم المرتد.

(٣٦) ولسعادة البشرية، أن الرب المتجسد لم يكتف بأن تكون المشيئة الإلهية بالفداء محصورة في شعب، حسب نفسه وارثاً وحيداً لمواعيد الله. بل أراد نشرها إلى العالم أجمع.

ورب سائل يقول: ولماذا تم الموت بالصليب من بين كل أنواع الموت؟ فإلى هذا أقول: هكذا صارت المسرة عند الله أن يفتدينا هو نفسه، وليس من طريقة أخرى أصلح لنا وأليق بالرب! وأنه حسن أن احتمال الرب المتجسد هذا النوع من الموت من أجلنا لأنه إن كان قد أتى ليبررنا من إثم الخطية التي أغلق الناموس علينا تحتها، فكيف كان ممكناً أن يصير خطية من أجلنا، لو لم يمت حاملاً خطايانا على الصليب؟

وأيضاً إن كان موت الرب المتجسد قد صار كفارة عن الجميع، وموته نقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة (أفسس ٢: ١٤) لتصير الدعوة لجميع الأمم، فكيف كان ممكناً أن يدعونا للتصالح به مع الله لو لم يصلب؟ فشكراً له لأنه هكذا صارت مسرته. ووجد لائقاً أن يتحمل هذا الموت المهين. ويبسط يديه على الصليب، ليجتذب بالوحدة أقبية الشعب القديم، وبالأخرى الذين هم من الأمم. ويتحد الكل في شخصه المبارك، وفقاً لقوله: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الْأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يوحنا ١٢: ٣٢).

سابقة كتاب:  
هل الله ظهر في الجسد؟

إن جاوبت على ٢٦ سؤالاً من هذه المسابقة، نرسل لك جائزة الكتاب الذي تختاره من جدول مطبوعاتنا.

- ١ - لا يقدر الإنسان أن يكون صالحاً وكاملاً من تلقاء نفسه؟
- ٢ - ما الطريق الوحيد للمصالحة مع الله؟
- ٣ - ما هي الأدلة الثلاثة المذكورة، على أن الإنسان خاطئ تماماً؟
- ٤ - أريد الله لنا أن نبقى خطاة. وما هي الوسيلة لخلاصنا؟
- ٥ - ما هو أهم شوق في قلب الإنسان؟
- ٦ - ما هي الطريقة لرفع الإنسان إلى مستوى الله؟
- ٧ - ما هي الصفات الضرورية، التي يجب أن تكون في الوسيط بيننا وبين الله؟

- ٨ - كيف تحققت الصفات المطلوبة للوسيط الإلهي في المسيح؟
  - ٩ - ما هما العنصران الدالان على صلاح البشر الكامل؟
  - ١٠ - لم جمع المسيح التلاميذ حوله؟
  - ١١ - كيف قابل يسوع القبض عليه من أعدائه؟
  - ١٢ - بماذا بان انتصار المسيح؟
  - ١٣ - ما هي نتيجة موت وقيامته المسيح؟
  - ١٤ - كيف تأكد العالم من ألوهية المسيح؟
  - ١٥ - كيف يحصل التغيير الجذري في حياة الإنسان؟
  - ١٦ - ما هي الصفات التي يعطيها الكتاب المقدس للمسيح؟
  - ١٧ - هل يثبت الإسلام صلة بين الخالق والمخلوق؟
  - ١٨ - كيف يدلنا الحديث على علاقة مباشرة لله مع البشر؟
  - ١٩ - ماذا يجبر مفهوم التنزيه المطلق لله؟
  - ٢٠ - ماذا يقول الحديث عن نزول الله كل ليلة؟
  - ٢١ - كيف تثبت أن تجسد الله، لم يغير جوهره وسلطانه؟
  - ٢٢ - هل قدر الله على أن يتجسد وحقق إرادته؟
  - ٢٣ - ماذا يعني نص الحديث، أن الله يجلس في دار؟
  - ٢٤ - كيف توفق بين التجسد، وأن لله أعضاء جسدية؟
  - ٢٥ - كيف يحل الله القدوس في بطن امرأة؟
  - ٢٦ - ماذا يعني ظهور الله لموسى في العليقة المشتعلة؟
  - ٢٧ - ما هو النجس؟
  - ٢٨ - ألم يكن اقتراب الله من المواد الدنيوية في إعلاناته بدون تنجيسه، دليلاً على إمكانية الله للتجسد بلا ضير عليه؟
  - ٢٩ - كيف فقد الناس صورة الله؟
  - ٣٠ - هل يعقل أن يترك الله مخلوقاته للفساد؟
  - ٣١ - لم لا تكفي مجرد توبة الإنسان للخلاص؟
  - ٣٢ - ما هي الأدلة من وحي الله، لتجسد المسيح؟
  - ٣٣ - ما هي مقاصد محبة الله في تجسد المسيح؟
  - ٣٤ - ما الأدلة النبوية على تجسد الرب؟
  - ٣٥ - ما هي الذبيحة الفضلى لدى الله؟
  - ٣٦ - هل يقصد يسوع بفدائه كل الناس أو اليهود فقط؟
- أرسل أجوبتك بخط واضح وعنوان كامل إلى:

دار الهداية The Good Way P.O.BOX 66 CH-8486 Rikon Switzerland